

المجامع

د. عبد الله واثق شهيد

إن كلمة «مجمع» مصطلح حديث هو ترجمة الكلمة الفرنسية Académie التي كثيراً ما ترد معرّبة: أكاديمية. ولها أصل في كل من اللغتين اللاتينية واليونانية، وهو في الأولى Academia وهو في الثانية؛ أي اليونانية Akadêmia، نسبة إلى دوحة أكاديموس Akadêmos^(١) القريبة من أثينا، التي كان يلقي فيها أفلاطون محاضراته. لذا أطلق الأقدمون لفظة أكاديمية على عصابة تلامذة أفلاطون، كما أطلقوا لفظ مدرسة الأكاديمية على المدرسة التي أسسها هذا الفيلسوف. ثم اتسع مدلول تلك اللفظة فصار يدل على مجتمعات الآداب والعلوم والفنون؛ مثل: أكاديمية البطالسة في الاسكندرية^(٢). في تلك الدوحة أسس أفلاطون في عام ٣٨٧ قبل الميلاد مدرسةً حملت فيما بعد اسمه، كان المحاضرون فيها والخطباء رجال سياسةٍ شديدي الاختلاف في ميولهم، من مولعين بالحرية إلى مناصرين للطغيان والاستبداد^(٣). أولئك كانوا هم الأكاديميون أو المجمعيون الأوائل.

(١) ينظر كلمة académie في قاموس لاروس ذي المجلدات الخمسة ، طبعة سنة ١٩٨٨، الجزء الأول، الصفحة ١٣.

(٢) ينظر الأمير مصطفى الشهابي: المجامع العلمية واللغوية، المقتطف، المجلد ٨٣ (١٩٣٣) الصفحة ٣٣ وفي نفس الصفحة يذكر أن دوحة أكاديموس: «أرض تسودها أدواح بواسق من الدلب ذاع صيتها في تلك الأيام. وكان في الأكاديمية هيكل للإلهة أثنة Athéné محاط بأثنتي عشرة زيتونة مقدسة ومذابح لآلهة آخرين منها واحد لآلهة الشعر، شادهُ الفيلسوف أفلاطون».

(٣) ينظر كلمة académie في الموسوعة الشاملة: Encyclopaedia Universalis طبعة عام ١٩٧٠، الصفحة ٦٤.

كان من مظاهر بدايات عصر النهضة في أوروبا عامة، وفي إيطاليا خاصة، عودة المثقفين ورجال الفكر إلى الحضارة اليونانية، التي استهواهم تراثها، فنشأت منهم حلقات يجمعهم فيها الشغف بالمعرفة وحرية التعبير، ويتدارس رجال كل حلقة منها مواضيع تقع في مجال واحد، قد يضيق في بعضها ويتسع في غيرها. ومن أوجه التشابه بين هذه الحلقات وروادها، وأكاديمية أفلاطون وجمعيتها الأوائل، وتقديراً للتراث الفكري اليوناني الذي استجدّ إعجابهم به، عاد اسم المجمع (أو الأكاديمية) إلى الظهور.

مما سبق يمكن استخلاص تعريف المجمع بأنه جمعية علماء يجمعهم تعلّهم باختصاص واحد يميز المجمع، ويُقبل أعضاؤها فيه، بميولهم و بمشاركتهم المختلفة، على تداول شؤون ذلك الاختصاص بحرية واندفاع، في اجتماعاتهم التي يعقدونها في مكان معين هو مقرّ المجمع^(١). لذلك كانت الجماع على أنواع عديدة تختلف باختلاف الاختصاص، فكان منها مجمع اللغة، ومجمع الموسيقى، ومجمع الفنون الجميلة، ومجمع الزراعة، ومجمع الرقص،... وكان منها أيضاً حتى مجمع البلياردو وهو المكان الذي يرتاده لاعبو محنكون ليمارسوا فيه هذه اللعبة. ولا تزال تطلق هذه الكلمة أحياناً على مدرسة يمارس فيها أحد الأنشطة أو الاختصاصات بإدارة معلم وإشرافه، كمجمع رسم وتصوير أو رقص... ومن المدلولات الأخرى لهذه الكلمة في فرنسا، كل «مقاطعة» في التقسيم الإداري في مجالات التعليم^(٢).

كما يتضح من تعريف المجمع وما رافقه من شروح وأمثلة، يمكن عدّ مدارس الكوفة والبصرة في كل من اللغة والفقه، وجماعة إخوان الصفا ودار الحكمة في

(١) ينظر كلمة académie في قاموس لاروس، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

بغداد التي أسست لنقل العلوم، بل وعكاظ والمريد بعضاً من ضروب المجامع الأدبية^(١). ويُذكر أن الخلفاء الأمويين في إسبانيا أنشؤوا عدة مجامع^(٢) كان أشهرها مجمع طليطلة الذي كان يجتمع فيه أربعون عالماً ثلاثاً أشهر في السنة^(٣). إلا أنّ كثيراً من مجامع تلك الأيام أخذ أيضاً المعنى العام لمدرسة عليا كمجمع البطالسة في الإسكندرية، وامتد استعمال كلمة مجمع بهذا المعنى زمناً طويلاً في أوروبا، فقد كان الكلفينيون في فرنسا وسويسرا وهولندا، حتى القرن الثامن عشر، وقبل أن يستقر في أثنائه مصطلح «جامعة»، يسمون ما ينشئون من مؤسسات التعليم العالي مجامع، كما لا تزال تستعمل كلمة مجمع بهذا المعنى في كثير من بلدان الاتحاد السوفييتي سابقاً، وفي بعض المجالات الخاصة كالمجالين البحري والعسكري.

ترجع بدايات العودة إلى إنشاء المجامع إلى أواخر القرون الوسطى وبدايات عصر النهضة في أوروبا. فقد ظهر استعمال كلمة أكاديمية (مجمع) في إيطاليا في منتصف القرن الخامس عشر، إذ أُسس مجمع فلورنسا الأول في عام ١٤٤٢^(٤)، ثم ظهر استعمالها في فرنسا في أوائل القرن السادس عشر. ومع تتابع ازدهار عصر النهضة، توالى في إيطاليا، إنشاء المجامع التي كثيراً ما أخذ يمثل المجمع في منطقتة على الأقل، الطليعة الفلسفية والأدبية واللغوية. وتتابع إنشاء المجامع في أوروبا عامة وفي فرنسا خاصة، منذ أن أقام باييف (J.A.Baïf) أول مجامعها في عام ١٥٧٠.

(١) ينظر محمد كرد علي: أعمال المجمع العلمي العربي بدمشق عن سنواته الثلاث،

التقرير الأول سنة ١٩٢٢، الصفحة رقم ١.

(٢) ينظر الموسوعة البريطانية، طبعة عامي ١٩٧٣-١٩٧٤ كلمة academy ص ٤٤.

(٣) ينظر كرد علي: التقرير الأول، مرجع سابق الصفحتان ٢٠١.

(٤) ينظر الموسوعة البريطانية مرجع سابق، صفحة ٤٤.

أمام هذا الإقبال الشديد على إنشاء المجامع، كان التسابق في تطويرها متوقفاً، فأخذت تطراً على بني المجامع منذ نهاية الثلث الأول من القرن السادس عشر^(١) تطورات عديدة متتالية، كثيراً ما عرفت لأهميتها بالحركة الجمعية، وجاءت في إطار التنوير في عصر النهضة وما رافقه من توسع في آفاق المعرفة الفكرية وازدياد تنوعها. فمن بين زهاء خمسمئة مجمع أنشئ في إيطاليا لم يبق إلا مجامع معدودة على غرار مجمع فلورنسا الأول. كان مجموع تلك المجامع مثقفين ذوي مشارب موسوعية، وكانت اجتماعاتها بسيطة ودية أو حرة غير منتظمة، ولم يكن عملها ينتظم في هيكلية أو تشريع، فبقيت هويتها مبهمة تكاد لا ترتبط بمجامع ما بعد الحركة الجمعية بأكثر من الاسم. أما الأغلبية الساحقة من المجامع التي كانت منشأة في إيطاليا قبل الحركة الجمعية، فقد عكف كل منها على اختصاص واحد من الاختصاصات التي استحدثت في سياق تطور عصر النهضة؛ كالمسرح، واللغة الإيطالية، واللغات التقليدية، والموسيقى، واللاهوت، والقانون، والطب... وربما كان مجمع كروسكا (Crusca)، الذي أنشئ في عام ١٥٨٧ (أو ١٥٨٤) في فلورنسا، أوسع تلك المجامع الجديدة شهرةً في القرن السادس عشر وبعض القرن التالي، وقد اختص بدراسة اللغة الإيطالية واتخذ من تنقيتها من الدخيل ومن وضع معجم لها ونشره هدفاً^(٢).

(١) ينظر الموسوعة الشاملة، مرجع سابق، الصفحتان ٦٥ و٦٦.

(٢) الموسوعة الشاملة، مرجع سابق، الصفحة ٦٦، والموسوعة البريطانية، مرجع سابق، الصفحة ٤٤.

قبل أن تتجاوز هذه المرحلة من مسيرة الحركة الجمعية، لابد أن نلفت النظر إلى أن تركيز الاهتمام في أغراض تلك المجامع وأهدافها البعيدة على اللغات عامةً وعلى اللغة الوطنية أو القومية خاصةً - على غرار ما جاء في أغراض مجمع كروسكا - دليل ساطع على يقظة الشعور القومي ونموه والزهو بالقومية وشدة تأثيرها في فكر عصر النهضة ومدى تلوينها تنويره...

أخضعت الحركة الجمعية في تطورها المستمر المجامع الجديدة لنظم دقيقة، فكان على رأس كل منها أمير يرعاها ويمولها، يساعده مراقبون، واتخذ كل منها شعاراً يرمز إلى أهدافه، وكان عليها أن تجتمع بانتظام في مواعيد ثابتة وأن تعمل على تحقيق أهدافها. إلا أن النصيب الأوفر من التطوير الذي أصابته المجامع، جاء بعد قرن من بداية الحركة الجمعية، جاء مع وضع ريشيليو أسس سياسة رعاية الإبداع والفكر في جميع فروع العلوم والفنون وتوجيهها ومراقبتها. وتابع مازاران ما قام به ريشيليو، وتلاه كولبير الذي استعمل في إنشاء الأكاديميات (المجامع) وتنظيمها المنهجية العلمية، وطبق ما استحدثه من تنظيم على مجامع الآداب والعلوم والموسيقى والعمارة ما بين عامي ١٦٦٣ و١٦٧١. ولاقت منهجية إنشاء المجامع الفرنسية وأنظمتها استحساناً كبيراً، فنسجت دول كثيرة أنظمة مجامعها على منوال أنظمة تلك المجامع؛ كإسبانيا والبرتغال وروسيا وألمانيا والسويد، وهي التي يمنح مجمعها العلمي في استوكهولم جائزة نوبل في كل من الفيزياء والكيمياء، والمجمع السويدي الذي أنشئ ونظم على غرار المجمع الفرنسي وهو الذي يمنح أيضاً جائزة نوبل للآداب منذ عام ١٩٠١. وأنشئ أكثر المجامع العربية على غرار المجمع الفرنسي كمجمعي دمشق والقاهرة...

تمتعت الجماع، بتطبيقها أحكام نظم المنهجية الجديدة، بالدعم المعنوي والمادي، وأصبحت في عصر النهضة حاضنات الأفكار الجديدة، وعرفت كيف تتغير وتتحوّل وتظلّ متّسقةً مع البيئة المحيطة بها... لقد أصبحت الجماع في عصر التنوير، في فلورنسا، بل في إيطاليا كلها، وفي فرنسا خاصة، هيئات مكيّنة في المجتمعات الأوربية، تخطب السلطة ودّها فتحتضنها وترعاها، وقد تنقلب، ولو إلى حين، أداة طيّعة في يد السلطة الملكية أو التقليدية^(١)، وكثيراً ما قامت النفوذ والسيطرة المتصاعدين حتى أواخر القرن الثامن عشر. وفي أواخر ذلك القرن، ألغت الثورة الفرنسية في فرنسا الجماع بسبب ما عرف عن ارتباطها بالسلطة الملكية، إلا أنّها ما لبثت أن أعادت مضطرة تأسيسها من جديد، لتملأ الفراغ الذي أحدثته إلغاؤها، وتؤدي في المجتمع دورها الذي رسمه عصر النهضة.

لقد أصبح لمعظم البلدان الغربية في القرن العشرين مجامع متخصصة متنوعة، في العلوم، والآداب، والفنون الجميلة وفي غيرها... وقد لا تسمى في بعضها مجعاً (أكاديمية): كما هو حال الجمعيات الملكية في المملكة المتحدة. وضم كثير من الجماع أعلاماً من بلدان أخرى، فانتخب المجمع الفرنسي عضواً فيه كلاً من^(٢) جوليان غرين (J.Green) الأميركي الجنسية في عام ١٩٧١، وليوبولد سيدار سنغور (L.S.Senghor) السنغالي في عام ١٩٨٣، ومرغريت يورسنار (M.Yourcenar) البلجيكية في عام ١٩٨٠، وبالألمس دخلت السيدة أسيا

(١) كأن تخدم الملوك في هندسة قصورهم وتزيينها بالرسوم والتصاوير والسجاد وفي تخطيط الحدائق وتزيينها، وتأليف ما يناسب من الموسيقى دار الأوبرا وصلات القصور وحدائقها في الحفلات، وكل ما يضيفي على الملك العظمة والتمجيد. وفي الموسوعة الشاملة أمثلة متنوعة لما يمكن أن تقدمه الجماع ورجالها للبلاط.

(٢) قاموس لاروس، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ١٣.

جبار (فاطمة الزهراء) مجمع الخالدين الفرنسي وكانت قد انتخبت عضواً فيه في ١٦ حزيران من عام ٢٠٠٥^(١)، فكانت أول سيدة مسلمة من المغرب العربي (الجزائر) تدخل المجمع الفرنسي، الذي يكون بذلك قد ضم في عضويته أجناب وسيدات.

ولا تزال المجامع تحتفظ بكثير من هيبتها ونفوذها وجاذبيتها التي بلغت الأوج في القرن الثامن عشر، ولا تزال عضويتها مئّية رجال الفكر والفن، ولا يتصدر سدتها إلا القلّة من صفوفهم في بلدانها. ولا تزال بين أهم المراجع العلمية المختصة في الدولة، إن لم تكن أهمها جميعاً. إليها تحتكم الدولة في شؤون العلم، وتستشار في قضاياها الكبرى، وتعد مجالاتها السجلّ الموثق للتسابق في ميادين التقدم العلمي على المستويين الوطني والدولي. إلا أنها ليست مراكز البحوث التي يمكن أن تستهوي الشباب وتستجيب لمطالبهم في معظم بلدان العالم. أما في بعض منها فقد طورت المجامع أنظمتها بما يلي أغراضها الجديدة التي أصبح من أهمها العناية بتنمية العلم وتطوير مؤسساته وإغناء عطائها، كأكاديمية العلوم ببرلين التي قامت بدور هام في تطوير وتنمية العلم الألماني حتى أواخر الحرب العالمية الثانية، وأكاديمية العلوم في روسيا الاتحادية وأكاديميات بلدان الاتحاد السوفييتي سابقاً، التي جعلت أهم أغراضها تنسيق البحث العلمي والإشراف على تنفيذ خططه ومتابعة تطويره، وربما تكون المجامع قد ازدادت في هذه البلدان هيبه ونفوداً وجاذبية.

هذا التباين الكبير في مهام المجامع وأهدافها يوجب أن تكون أساليب عملها ومسؤولياتها شديدة الاختلاف. يمتد اختلافها من مجامع تعتمد في مزاولتها

(١) Lemonde, Edition Proche Orient Sélection Hebdo madaire-
Vendredi ١٣ juin ٢٠٠٥ p.p 1,23.

على عمل أعضاء المجمع، كأفراد في إطار اختصاصٍ قد يضيق كثيراً وقلماً يجمعهم فيه مشروعٌ، إلى أخرى يتعاون فيها الأفراد مع خبراء في اختصاص ضيق أو عريض... فإلى مجامع آفاق تطلعاتها عريضة، تُعدّ خطط البحث السنوية والبعيدة المدى لجميع فعاليات البحث والتطوير والتنمية البشرية في الدولة كلها، وتصنع القرار الذي تعتمده الدولة بشأن استراتيجياتها وسياساتها العلمية والتعليمية والتقانية، وتتابع تنفيذ الخطط وتحاسب الجهات المنفذة، من مراكز بحثٍ وجامعات وشركات ومصانع، فتغدق التمويل على المجدد الناجح في تنفيذ خططه، وتفتّر على المتعثر منها...، ونلاحظ في هذا الطيف العريض من المجمع أن اختصاص المجمع كما جاء في تعريفه في بداية هذه الدراسة، يكاد يفقد معناه. ومما تجدر ملاحظته أيضاً أن المجمع اللغوية تقع عادة في الطرف المتواضع في أساليبه من المجمع، بينما تصطف المجمع العلمية بالقرب من الطرف الآخر الغنيّ بأساليبه المتنوعة الفعّالة، إنّها غالباً مجامع ذات اختصاص عريض يشمل العلوم الأساسية، وقد يشمل معها العلوم التطبيقية أو بعضها. أما المجمع التي تقوم بتنسيق البحث العلمي والإشراف على تنفيذه فهي تلك التي تدخل ضمن طيف المجمع العلمية العريض في الطرف الأبعد في الأساليب عن المجمع اللغوية، وذلك لأنها تشمل التفانّة، كما تشمل غالباً العلوم الإنسانية بجميع فروعها... ولذلك أيضاً وجب التنبيه على أن المجمع العلمية العربية هي في واقعها اليوم، مجامع لغوية قبل كل شيء، وقد لا تمت بصلة إلى المجمع العلمية غير صلة دراسة المصطلحات العلمية، التي يعكف عليها أعضاء المجمع وخبراؤه من مختلف الاختصاصات العلمية ويشاركهم فيها زملاء لغويون. وقد درجت المجمع العلمية العربية الحقّة على اعتماد كلمة «أكاديمية» في تسميتها، فكأنهم خصصوا كلمة مجمع للمجمع

اللغوية فقط، فكان في مصر مثلاً: مجمع اللغة العربية وأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا.

ثم إن المجامع قد تتعاون في معالجة بعض أغراضها المشتركة، كالتعاون في تحقيق تراث الحضارة الإنسانية ونشره؛ ذلك لأن الحضارة الإنسانية ملك الجميع، وكشف ما غيبي منها حدثان الدهر هو من مهامها جميعاً. وعلى سبيل المثال، فإن هذا التعاون هو الجزء الأهم من مهام الاتحاد الدولي للأكاديميات في بروكسل، الذي يضم في عضويته عدداً كبيراً من مجامع العلوم الإنسانية ومراكز بحوثها. وهناك نمط آخر من التعاون هو تعاون مجامع اللغة الواحدة في دراسة قضايا تلك اللغة، ومثاله تعاون المجامع العلمية اللغوية العربية في اتحادها بالقاهرة، على القيام بتحقيق أغراض هذه المجامع في شؤون اللغة العربية وتوحيد الجهود والقرارات، دفعاً لتعدد قرارات المجامع وتضاربها، وما يمكن أن تحدثه قرارات متضاربة في اللغة من اضطراب وبلبلة وضياح للغة وشؤونها. وقد درجت بعض البلدان المشتركة في اللغة على التفويض إلى إحداها اتخاذ مختلف القرارات الخاصة بشؤون اللغة واتباع ما تتخذه، كاتباع بلدان أمريكا اللاتينية التي تتكلم الإسبانية ما يتخذه مجمع اللغة الإسبانية من قرارات، واتباع كيبك في كندا ما يتخذه المجمع الفرنسي في شؤون اللغة من قرارات. وقد يدفع للأخذ بهذا التوجه، منح العضوية لمستحقيها من غير أبناء بلد المجمع.

وتصنّف المجامع اللغوية بحسب جنسية أعضائها في ثلاثة أصناف: مجامع تقتصر عضويتها على مواطني بلد المجمع، كمجمع دمشق ومعظم المجامع اللغوية العربية؛ والمجامع اللغوية القومية وهي التي تضم في عضويتها أعضاء من قومية واحدة، كمجمع القاهرة الذي يضم في عضويته عددًا من غير المصريين حُدد في

قانونه (الصادر في عام ١٩٨٢)، إلا أنهم منذ صدور ذلك القانون كانوا في التطبيق عرباً فقط، وكالمجمع الفرنسي إذا حافظ الأعضاء الأجانب فيه الذين أتينا على ذكرهم على جنسياتهم الأصلية إلى جانب الجنسية الفرنسية المكتسبة، (ذلك لأن قانون المجمع الفرنسي قصر عضويته على الفرنسيين)^(١)؛ أما الصنف الثالث فهو صنف الجامع اللغوية الدولية أو العالمية وهي التي لا تشترط على عضويتها شرط الجنسية، كمجمع القاهرة في المرحلة الأولى من حياته، وهو لا يزال في قانونه الجديد في عدادها أيضاً، إذ يجوز وفقه أن يكون غير المصريين من أعضائه، كلهم أو بعضهم، من غير العرب. ويدخل في هذا الصنف على سبيل المثال من غير الجامع اللغوية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن، وأكاديمية المملكة المغربية التي يتمتع أعضاؤها المشاركون وهم أجانب، بحقوق الأعضاء المقيمين، ويشاركونهم في أعمال المؤتمر السنوي، شأنهم في ذلك شأن الأعضاء غير المصريين في مجمع القاهرة الذين يشاركون زملاءهم المصريين في مداورات المؤتمر السنوي فقط.

قبل الانتقال إلى الحديث عن الجامع في بلادنا، نذكر بأن كلمة مجمع مصطلح حديث نشأ على مشارف عصر النهضة الأوربية، وأتينا على تعريفه إبان نشأته ووقفنا على تطور ذلك التعريف مع تطور تنظيم الجامع في أثناء الحركة الجمعية، وما انتهت إليه بمنهجية كولبير وإبداع ريشيليو من قبله. أما مهامها فهي ما جئنا على وصف تطورها والإشارة إلى تنوعها قبل قليل. ننتقل من هذا التذكير إلى رسم ملامح صورة ما يكافئ تلك الجامع في الحضارة العربية الإسلامية على

(١) ينظر إبراهيم مذكور: المجمع في ثلاثين عاماً (الناشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦٤)

امتداد العصر العباسي. فقد قامت على امتداده هيئات وجمعيات ومجتمعات علمية - أشرنا إلى بعضها من قبل - بدور المجامع التي طورتها الحركة الجمعية في أوروبا، كان كثير منها يذكّر من حيث التنظيم والمهام بالمجامع الأوربية في القرن السادس عشر وبعض السابع عشر إن لم يكن كله، وفي العديد من المجالات العلمية إن لم يكن فيها جميعاً. وفي موسوعة تاريخ العلوم العربية وصف شائق لحيوية النشاط العلمي الجمعي الذي ساد المراكز العلمية المنتثرة في الإمبراطورية العباسية من أذناها إلى أقصاها، والذي تشهد عليه المجادلات الكتابية بين العلماء وتحكيم ما كان يقوم فيها مقام المجامع العلمية فيما اختلفوا فيه. وقد أشار البيروني، في كتابه «مقاليد علم الهيئة» إلى المناقشات التي دارت في ذلك الوقت (نهاية القرن العاشر) ضمن المجمع العلمي الصغير لمدينة ري حول إحدى المبرهنات^(١) التي سماها الخجندي «قانون الفلك» واختصم إليه، مدعيّاً سبق إلى اكتشافها على أبي الوفاء البوزجاني، وقدم دعماً لما ادّعاه، كتابه حول رصد الكواكب الذي أثبت في بدايته تلك المبرهنة واستخدمها بعد ذلك في مختلف أقسام الكتاب. وكان في ري الفلكي ابن لَبان الذي كان قد اقتبس في أحد أعماله ما كتبه الخجندي عن تلك المبرهنة وعدله وسمّى المبرهنة «الشكل المغني»، وقد عرفت به فيما بعد. ولكنّ البيروني رأى أن برهان الخجندي الطويل يختلف اختلافاً بيّناً عما قدّمه أبو الوفاء... وهو حكم واضح فيما حكّم فيه. ونقرأ في تلك الموسوعة أيضاً أن مرصد مراغه كان يضمّ علماء جاؤوا من مختلف البلاد الممتدة من آسيا الصغرى إلى الصين، أي إنه كان يؤمه العلماء كما يؤمون اليوم مراكز بحوث البلدان

(١) ينظر رشدي راشد (إشراف)، موسوعة تاريخ العلوم العربية (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧) الجزء الثاني، الصفحات ٦٣٦-٦٣٩.

المتقدمة. لقد كان مرصد مراغة في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر، كما تقول فرانسواز ميشو الأستاذة في جامعة باريس «بفضل فريقه العلمي المهم ومكتبته الواسعة، مؤسسة بحث فلكي، وفي الوقت نفسه «أكاديمية» تعقد فيها الاتصالات (اللقاءات) العلمية ومركزاً للتعليم»^(١).

إذاً فقد كان في كل من رِيٍّ ومراغة «مجمع» علمي فلكي، وغيره في غيرهما، تعقد فيه اللقاءات العلمية ويُحْكَمُ فيه العلماء في المواضيع العلمية المطروحة من علماء كابن عراق والبوزجاني والخجندي، جاؤوا إلى رِيٍّ من بلدان بعيدة كخوارزم وبغداد يحملون وثائقهم من مؤلفات وأعمال تطبيقية (جداول وأزياج)، تماماً كما يجري اليوم في ندوات المجمع النشيطة ومؤتمراتها وينشر في مجلاتها العلمية.

وكانت تَلْقَى تلك «المجامع»، كما كانت تلقى مجامع أوروبا في عصر النهضة، رعايةً وعنايةً خاصة من الملوك والأمراء كإعانة السلطان البويهبي فخر الدولة بمجمع رِيٍّ ورعاية هولاء بمجمع مراغة ومرصدها. وأفادت هذه المؤسسات العلمية من ريع الأوقاف قبل مثيلاتها في أوروبا، وكان مجمع مراغة أول مؤسسة علمية غير خيرية (كالمشائبي) أفادت من ريع الأوقاف فلم تتأثر بموت مؤسسها ولم تندثر بانقراضه. كان ذلك يجري في الإمبراطورية العباسية حتى أواخر العصر العباسي وبداية عصر الانحطاط (النصف الأول من القرن الرابع عشر). وفي عصر الانحطاط خمد العطاء العلمي وخبا نوره في بلادنا وتراجع الطابع العربي للثقافة وتوقف تطور اللغة ونموها ودخلت حيوية المجتمع العربي في حالة من السبات لم يخرج منها إلا يقظة الشعور القومي الذي أدخله عصر النهضة العربية الحديثة.

(١) ينظر موسوعة تاريخ العلوم العربية، مرجع سابق، الجزء الثالث، الصفحة ١٢٧٨.

رافقت تطورات النهوض باللغة تطورات النهضة العربية الحديثة التي تميزت بيقظة الشعور القومي وتعاضم مكنته، فكانت في تطورها شبيهة إلى حد بعيد بما رافق عصر النهضة والتنوير في أوروبا، الذي كانت العناية باللغة من أهم مظاهر يقظة الشعور القومي فيه. فقد أريد للغة في أوروبا منذ بدايات عصر النهضة أن تؤدي دوراً هاماً في السعي الحثيث إلى توحيد مختلف مقاطعات وإمارات البلاد الأوروبية وفق لغاتها، كإيطاليا وألمانيا وفرنسا... ألم يتخذ ريشيليو من النهوض باللغة الفرنسية وتعزيز مكانتها في الدولة والمجتمع ركناً من أركان سياسته لتوحيد البلاد ووسيلةً فعالة لتحقيقه، فجعل استعمالها إجبارياً في جميع الصكوك الإدارية^(١)، ومنح حمايته لمجموعة من الأدباء سموا مجموعتهم الأكاديمية الفرنسية، ثم تولى تنظيمها ورفع مكانتها في الدولة. وفي وطننا العربي ألم يدع إبراهيم باشا إلى استقلال الشعب العربي في مختلف بقاع الوطن العربي، وفضّل عامداً استعمال اللغة العربية عوضاً عن اللغة التركية لتكون دافعاً للسعي إلى الاستقلال ووسيلة لتحقيقه؛ ونفذ خلفه إسماعيل نياته بإصدار قانونين في عامي ١٨٦٥ و ١٨٦٨، قضى أولهما بتعريب الأوامر الرسمية التي صدرت في عهد محمد علي، وأمر في الثاني أن تحرر باللغة العربية جميع المراسلات الجارية بين الإدارات والمصالح الميرية^(٢)... لقد كان الاهتمام باللغة مدعاة إلى إحياء دور جمعيات اللغة وأنديتها، والطموح إلى إنشاء مجامعها والتوسع في تنوع تخصص المجامع لتشمل شتى

(١) ينظر الموسوعة الشاملة مرجع سابق ص ٦٧.

(٢) ينظر: محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الغرب الإسلامي

بمجاللات العلوم واللغة. ولا شك أن تطور إنشاء المجمع في الوطن العربي قد تأثر كثيراً بما جرى من تطويرٍ لمجمع أوروبا التي سبقته في ذلك أكثر من قرنين. كانت أقطار الوطن العربي إبان عصر نهضتها تحت وطأة احتلالٍ أجنبي أخرج اللغة العربية من التعليم والإدارة، وكاد يقضي عليها في الثقافة. فقد كانت وطأة الاحتلال، وما يرافقه من أساليب قمع الحريات وتطبيع الاستكانة، تعمل على طمس اللغة وطمس دورها في الحياة الاجتماعية وإضعافها وإضعافها، أي سلب الشعب هويته وشخصيته. لذلك كان صون اللغة وإحياء دورها هدفاً أساسياً لنضال الشعب كلاً، بجماهيره ومثقفيه وأحزابه السياسية، اتسقت حوله مطالب الأحزاب وآراء المفكرين والقادة. فكان جمال الدين الأفغاني يرى أن الاتحاد - هو حكماً - اتحاد في اللغة أو وحدة فيها، ويرى محمد عبده أن تحديث اللغة والمحافظة عليها وتوحيدها عنصر أساسي في الوفاق بين العرب، وفي تحقيق الوحدة الإسلامية، وأشار كل من الكواكبي ورشيد رضا أيضاً إلى أهمية اللغة العربية في جمع شمل الأمة والتأليف بين قلوب أبنائها وإبراز شخصيتها. وطالبت المؤتمرات الإسلامية والعربية في القدس وباريس بجعل اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة في الأقطار العربية، وباعتمادها في البرلمان. ولذلك كان يرى عبد الله النديم أن الاحتلال البريطاني في مصر أشد خطراً من الاستبداد العثماني لأنه يهدد التراث برمته ويصيب الثقافة في صميمها، ويهدف إلى القضاء على شخصية الأمة بإخراج اللغة من التعليم والإدارة. ولذلك أيضاً طالب سعد زغلول رئيس حزب الأمة في مصر باستعمال اللغة العربية دون غيرها في التعليم. وسرعان ما أنشئت النوادي والجمعيات في مصر والشام والعراق ثم انتشرت في أرجاء الوطن العربي، وكانت سرّية في معظمها في البداية، وتدعو للذود عن الحريات

والتمسك باللغة وصونها وإحياء دورها في النهوض بالوطن والأمة؛ كما حثت على إنشاء الصحف لتتولى نشر الدعوة والدفاع عنها. ففي الشام «سعى بعض مشاهير لبنان بعقد أول جمعية أدبية في بيروت في عام ١٨٤٧، ثم أنشئت الجمعية الشرقية في عام ١٨٥٠ في دير الآباء اليسوعيين في بيروت التي كان من أعضائها حبيب اليازجي، فالجمعية السورية في عام ١٨٥٧ التي ضمت نخبة من رجال العلم والأدب منهم الشيخ ناصيف اليازجي وحسين بيهم وبطرس البستاني... وقد نالت من الدولة الرخصة بنشر أبحاثها، وصدرت أعمالها في كل شهر بنظام»^(١). وظهر في بلاد الشام «بعض الجمعيات لخدمة الأدب واللغة، كجمعية النهضة السورية وكالرابطة الأدبية بدمشق، وأنشئ في تونس جمعية تسمى الجمعية الخلدونية لها مدرسة ودار كتب»^(٢)....

وأدت الصحافة دوراً مرموقاً في الدعوة إلى إحياء اللغة العربية وإنشاء المجامع والمزيد من الجمعيات والأندية للذود عنها ودراسة مشكلاتها وتطويرها. كما أصبح من مسوغات السماح بإنشاء صحيفة أو دار نشر أن تتبى كلٌّ منها عرض مشكلات اللغة ومقترحات تطويرها، وكان ذلك التَّبْيُّ يلقي أيضاً هوى في نفوس القراء. ومثل هذه الأسباب نرى الشامى سليم تقلا يتقدم إلى الحكومة المصرية بطلب لإنشاء مطبعةٍ وجريدةٍ في الإسكندرية، سماها الأهرام، وجعل من أغراض جريدة الأهرام نشر «بعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات...»^(٣).

(١) ينظر الأب لويس شيخو: تاريخ الآداب العربية، دار الشرق - بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩١، الصفحة ٧٥.

(٢) ينظر الأمير مصطفى الشهابي: المجامع العلمية واللغوية، المقتطف ١٩٣٣، الصفحة ٤٠.

(٣) ينظر إبراهيم عبده: تطوير الصحافة المصرية الصفحة ٧٠ (الطبعة الثالثة ١٩٥١).

كان أحمد فارس الشدياق أول من دعا في جريدته **الجوائب** منذ عام ١٨٧٠، إلى إنشاء مجمع يعالج مشكلات اللغة العربية^(١). وأنشئ أول مجمع في عصر النهضة في وطننا العربي، في عام ١٨٨٢ باسم المجمع العلمي الشرقي ببيروت^(٢). وكان من مؤسسيه فارس نمر عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد نصف قرن. ويذكر الأمير شكيب أرسلان أن جمعية علمية سبقته، «تأسست قبل ذلك بنحو من عشرين سنة، كان رئيسها الأمير محمد الأمين أرسلان، وكان من أعضائها الشيخ يوسف الأسير والشيخ إبراهيم الأحذب والشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني»^(٣). ثم دعا عبد الله النلم لأول مرة في مصر، في سنة ١٨٨١ في جريدته **التنكيث والتبكيث** إلى إنشاء مجمع، وتنازلت إلى ذلك دعوات عبد الله فكري باشا في سنة ١٨٨٨ والنلم مرة أخرى في جريدته **الأستاذ** في عام ١٨٩٢، وبادر توفيق البكري نقيب الأشراف في مصر في السنة نفسها إلى إنشاء مجمع لغوي، استمرت اجتماعات أعضائه في دار البكري تارة، وفي دار أحد الأعضاء تارة أخرى، حتى شباط من عام ١٨٩٣، ثم قامت جمعية ترقية اللغة العربية التي رعاها الأمير فؤاد بمصر وكان أعضاؤها أدباء من مصر وسورية، منهم إبراهيم اليازجي وجرجي زيدان والشيخ محمد عبده. وفي عام ١٩١٧ أنشأ خريجو دار العلوم نادي دار العلوم لترجمة الكلمات الأعممية، وأنشأ فتحي زغلول نادياً لهذا الغرض. ثم أنشأ أحمد حشمت باشا، أحد كبار

(٢) ينظر كنز الجوائب، الجزء الأول، الصفحة ٢٠٢.

(٣) ينظر جرجي زيدان: تاريخ الآداب العربية، الجزء الرابع، الصفحة ٧١، القاهرة ١٩٣٦

(٤) ينظر الأمير شكيب أرسلان: نهضة العرب العلمية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،

المجلد ١٥ الصفحة ٤٢٣.

موظفي وزارة المعارف لجنة للمصطلحات العلمية أعضاؤها من موظفي الوزارة ومن علماء من خارجها، وكان من أغراضها وضع أسماء عربية صحيحة للخرائط الجغرافية، ثم أنشئ مجمعٌ ترأسه شيخ الأزهر سليم البشري في سنة ١٩١٧ كان يجتمع في دار الكتب المصرية، وكان من أهم أغراضه وضع معجمٍ عربيٍ يواكب حاجات العصر، ولكنه توقف أيضاً لما اشتد كفاح مصر الاحتلال في عام ١٩١٩، ثم أنشئ مجمع في عام ١٩٢١ كان من أهدافه وضع معجم علمي عصري واندثر في أواخر عام ١٩٢٥ بسبب حاجته إلى سند حكومي كسابقه^(١). وفي شرقي الأردن أصدر الأمير عبد الله في سنة ١٩٢٤ أمراً بتأسيس مجمع علمي^(٢)... كما قامت بعد الحرب العالمية الأولى مجامع في بيروت وبغداد^(٣)، إلا أنها اندثرت جميعها.

انقرضت جميع تلك المجامع والنوادي والجمعيات لأن ديمومتها مشروطة باعتراف السلطات بها وبدعمها مادياً ومعنوياً على الأقل، فسلكت في تطورها الطريق نفسه الذي سلكته من قبل المجامع والجمعيات والنوادي الإيطالية الأولى التي أنشئت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وبعض من السابع عشر، والتي كانت تنشأ وتندثر مع مؤسسيها.

لا شك أن محاولات تأسيس مجمع في أي قطر عربي كان يرافقه زهو الساعين لتأسيسه وتعصبهم له، وحماسهم لتحقيق أهدافه. ولم ينجز إنشاء أيّ

(١) ينظر الحمزاوي، مرجع سابق، الصفحات ٣٧-٤٠.

(٢) مجمع علمي في شرق الأردن، مجلة المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) بدمشق، المجلد ٤ (١٩٢٤)، الصفحة ٤٦.

(٣) ينظر محمد كرد علي: أعمال المجمع العلمي العربي بدمشق عن سنواته الثلاث: الصفحة ٤٤، والصفحة ٦٨.

من تلك الجامعات إلا بدعم الدولة وتبنيها تحقيق المشروع، وتعهده رعايته معنوياً ومادياً. وهكذا أسس الملك فيصل مجمع دمشق في عام ١٩١٩ ثم أنشأ الملك فؤاد مجمع القاهرة في عام ١٩٣٢.

حظيت الجامعات العربية لدى الدولة بالمكانة التي حظيت بها الجامعات الغربية أو ببعض تلك المكانة على الأقل، فيها يزين الحكام بعض أعمالهم ويحاكون بها بعض أعمال أقرانهم ويضاهونها، ويدفعون بإنشائها بعض السخط الذي تسببه بعض بوادهم. فلقد كان إنشاء المجمعين في القطرين العربيين كسباً سياسياً كبيراً للسلطة فيهما، فهو تأكيد لتجاوبها مع مطالب شعبيهما؛ وكان إنشاء مجمع في مصر، بالإضافة إلى ذلك، يهدف إلى كسب تعاطف الأزهر ومريديه مع السلطة في أوقات جعلتها تلوذ بالأقلية البرلمانية وتحتمي أو تهادن المحتل البريطاني بعد الثورة، كما كان المجمع أيضاً مطيةً في سباقٍ إلى الخلافة الإسلامية بين الهاشميين في العراق والأسرة الخديوية في مصر^(١).

فواقع الجامعات في الأقطار العربية شبيهة بما كان عليه في بلدان أوروبا، تمنح السلطة ما ينشأ من الجامعات رعايتها و تنشئ منها ما تراه، وتنظم عملها وتراقبها وتسعى لتسخيرها. ألا نجد في إنشاء «المجمع العلمي للشرق العربي» في عمان مثلاً آخر على تأدية الجامعات العربية هذا الدور! فالمجمع الأردني، الذي كنا أشرنا إليه، هو في وثيقة تأسيسه مجمع علمي للشرق العربي، ويشرف أيضاً - كمجمع دمشق - على إدارة مصلحة الآثار، وعليه أن ينشئ مجلة باسم «مجلة المجمع العلمي في الشرق العربي»، وتدعو الحكومة الأردنية نائب رئيس مجمع دمشق الشيخ سعيد الكرمي فيعتزل وظيفته في مجمعها ليؤسس، بعد مدة قصيرة من

(١) ينظر محمد رشاد الحمزاوي مرجع سابق، الخلفية السياسية، الصفحات ٤١-٤٥.

تسميته وكيل الأمور الشرعية في عمان، مجمعاً علمياً عربياً فيها. وبتاريخ ١٧/٧/١٩٢٣ تلقى رئيس الوزراء الأردني كتاباً من رئيس الديوان الأميري يعلمه فيه أن إرادة صاحب السمو الملكي صدرت «بتأسيس مجمع علمي بحماية سموه العالي، يكون رئيساً له سماحة الأستاذ وكيل الأمور الشرعية الشيخ سعيد الكرمي... كما أن الأعضاء العاملين يكونون في الوقت نفسه هيئة إدارية لمصلحة الآثار، وقد أمر سموه أيداه الله بإنشاء مجلة باسم مجلة المجمع العلمي في الشرق العربي على أن يقوم بشؤونها أعضاؤه العاملون»^(١)... والشيخ سعيد الكرمي من مؤسسي مجمع دمشق ونائب رئيسه وركن من أركان تحرير مجلته التي بقي يشارك في تحريرها إلى نهاية شهر نيسان سنة ١٩٢٢، يوم قبل دعوة حكومة الشرق العربي فغادر دمشق إلى عمان معتزلاً وظيفته في المجمع العلمي العربي بدمشق فأصبح عضواً مراسلاً فيه. وتظهر الرغبة واضحة في تأسيس مجمع علمي للشرق العربي يكون نظيراً لمجمع دمشق، كما صدرت إرادة صاحب السمو الملكي بتأسيسه لتكون الإمارة مناظرة سورية في هذا المضمار... «ورغم أن هذا المجمع العلمي بدأ أعماله وعقد أعضاؤه العاملون برياسة الشيخ سعيد الكرمي عدداً من الجلسات قرر فيها جملةً من المقررات المتعلقة باللغة والمصطلحات الإدارية، إلا أن عوامل عديدة أدت بعد مدة من الزمن إلى توقف أعماله ثم إلى إلغائه»^(٢).

امتدت المرحلة التحضيرية لإنشاء المجامع في الوطن العربي على أكثر من قرن من الزمن، فقد بدأت مع بدايات عصر النهضة العربية التي تعود على الأقل إلى

(١) ينظر الدكتور عدنان الخطيب: مجمع اللغة العربية بدمشق، القسم الأول - الأعضاء

المؤسسون، مطبعة الترقى بدمشق ١٩٦٩، الصفحتان ٦٦-٦٧.

(٢) ينظر: عدنان الخطيب، مرجع سابق، الصفحة ٦٧.

عهد محمد علي في مصر، وانتهت في عام ١٩١٩ بإنشاء أول مجمع عربي في دمشق متمتع بشروط ديمومة الحياة التي كنا أشرنا إليها. وإذا قصرنا المرحلة التحضيرية على الفترة الممتدة من تاريخ إحداث أول مجمع عربي أنشأته مجموعة أو جمعية من دعاة العربية وعشاقها، وهو تاريخ إنشاء المجمع العلمي الشرقي ببيروت في عام ١٨٨٢، حتى تاريخ إنشاء مجمع دمشق في عام ١٩١٩ تنخفض المدة إلى أكثر من ثلث قرنٍ بقليل. إلا أن مرحلة إنشاء المجمع العربية، التي بدأت بإنشاء مجمع دمشق، لم تنته بعد وقد قاربت أن تبلغ قرناً كاملاً، إذ لا يزال لبنان وتونس وموريتانيا وأقطار الجزيرة العربية كلها في حالة تأهب أو تردد. ومن يدري فقد تبلغ الرغبة في إنشاء المجمع أقطار القرن الأفريقي أيضاً، بل جزر القمر والبلاد الإسلامية أو بعضها، ألم تنشئ الجامعة الإسلامية في أليغار بالهند «المجمع الإسلامي الهندي»^(١)؟، الذي جعل من أهم أغراضه إشاعة اللغة العربية في الهند وتنشيط الدراسات التي تعنى بالحضارة العربية. وسيكون لهذه المجمع إذا انتشرت في بقاع الوطن العربي فالإسلامي آثار عميقة خيرة على نهضة اللغة العربية، إذا ما أحسن تنظيم عملها وإعداد برامجها واختيار أساليبها، واتسق مع البيئة العلمية والاجتماعية في كل قطر، وقام تعاون جاد بينها وبين اتحاد مجامع اللغة العربية، الذي يوجب توليه هذه المهام، إعادة النظر في قانونه ونظامه الداخلي، وتطويرهما على الوجه الذي يمكنه من توجيه العمل ووضع خططه ومتابعة تنفيذها في مختلف المجمع والتنسيق بينها.

(٢) ينظر في الموسوعة الإسلامية طبعة ١٩٨٦، المجلد الخامس، الصفحة ١٠٩٦ وما بعدها: المجمع الهندي. Encyclopedie de L Islam TomeV, Paris, G - P. Maisonneuve et la Rose S.A.

نشأت أغلب المجامع اللغوية العربية على نسق واحد مستقى من نموذج المجمع الفرنسي، وروعت في كلٍّ منها شروط البيئة التي أنشئ فيها المجمع وأحاطت به، وأهمها البيئة العربية والطابع العربي الذي طبع المجتمع وثقافته. لذلك كانت أغراض مجامع اللغة العربية وأهدافها متشابهة. تعمل جميعها على المحافظة على سلامة اللغة العربية وتنقيتها، وجعلها وافيةً بمطالب الآداب والعلوم والفنون وملائمةً لحاجات العصر، وعلى وضع المصطلحات العلمية والمعاجم اللغوية والمختصة، وعلى تيسير تعلم اللغة العربية وتعليمها، نحوها وصرفها وإملائها، وعلى تحقيق التراث العربي الإسلامي العلمي واللغوي والأدبي. وهي إن اختلفت في الأغراض فإنما تختلف غالباً في صياغتها وفيما يصيب بعضها من تفصيل. وللمجامع العربية استقلالها الإداري والمالي ويرتبط أكثرها بوزير (وزير التعليم العالي أو التربية...) وبعضها بوزارة وقليل منها بالملك أو برئاسة الجمهورية. أما وسائل عمل المجامع العربية وأساليبها لتحقيق أغراضها والقيام بمهامها فمتشابهة أيضاً: لكل منها مجلس ومكتب ولجان ورئيس ونائب ينوب عنه إذا غاب ويساعده فيما يشاء من مهامه، وأمين عام يقوم في بعضها مقام الرئيس ويكون عندئذ أميناً عاماً مدى الحياة، وتحلّ اللجنة الإدارية في بعضها محل المكتب في التسمية والاختصاص.

وقد يكون لوضع المصطلحات أكبر الأثر في الدفع الاجتماعي لإحداث المجمع، ويلاحظ ذلك من قيام كثير منها بدور لجنة للمصطلحات قبل إحداثها، وهذا هو ما نقرؤه في تاريخ مجامع دمشق والقاهرة وبغداد وعمان على الأقل. بل إن وضع المصطلحات وتنقية اللغة غرض مشترك من أغراض مجامع البلدان الآخذة في التطور، بلدان العالم الثالث. فلقد أدركت هذه الأمم أن تطورها يتوقف على تطوير طاقات لغاتها لتكون قادرة على الوفاء بمطالب العلوم والفنون

وملائمةً لحاجات العصر من جهة، وعلى الحفاظ على كيانها القومي وهويتها الثقافية من جهة أخرى، في عصرٍ تصاعد فيه المد القومي واستشرت جميع أشكال القهر والتسلط التي واكبت عصر النهضة العربية.

ونرى ذلك واضحاً أيضاً في أغراض المجمع المجاورة الأخرى كمجمعي جارتينا الإسلاميتين تركيا وإيران. نرى أن تنقية اللغة التركية مما دخلها من اللغتين العربية والفارسية، ووضع معجم لغوي تركي وقواعد للغة التركية، كانت من أهم أغراض المجمع التركي اللغوي الذي كان أتاتورك يتابع أعماله بعناية. ونرى في المجمع اللغوي الإيراني، أن موضوع تنقية اللغة الفارسية مما دخلها من اللغة العربية، كان الموضوع الذي شاركت المجمع في نقاشه الجامعات والصحافة، وطال الجدل فيه بين متشددين قد يذهب بهم تشددهم إلى إفقاد اللغة بعض طاقتها على ملاءمة حاجات المجتمع، التي تأصلت فيه بطابع عربي إسلامي، ومعتدلين يرون في التعتت إضراراً باللغة الفارسية وتشدداً غير مبرر^(١).

إن التشدد في صون اللغة والحفاظ عليها أصبح اليوم سمةً من سمات العصر، يزداد عزم الأمم تصميماً على صدّ أخطار الغزو الثقافي صوناً لها، ويزداد طموحها إلى التميّز تشبهاً بها. وأصبح الحفاظ على التنوع الثقافي في عصرنا هذا الذي سمي عصر العولمة، ظاهرةً تسطع فيه تعبيراً عن تأزر الأمم في الدفاع عن تنوع اللغات وحمائتها من عدوان اللغة الأمريكية الإنكليزية التي هي أيضاً أحد رموز العولمة. ولقد أثير في منظمة الأمم المتحدة للثقافة والتربية والعلوم (اليونسكو) موضوع اندثار لغات عديدة سنوياً بفعل الوُقع القومي

(١) ينظر في الموسوعة الإسلامية، مرجع سابق، المجلد الخامس، الصفحة ١٠٩٥ وما بعدها عن المجمع التركي، والصفحة ١٠٩١ وما بعدها عن المجمع الإيراني.

للتقافة الأمريكية المحمولة على اقتصادٍ مهيمن، والمنقولة بلغتها في التلفزة والسينما والإذاعات والمواقع المتكاثرة على الإنترنت والصحافة المرئية والمقروءة والمكتوبة، ومحاولة فرضها في التعليم والاقتصاد وفي جميع المناشط الدولية والأنشطة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. إنه وقّع قوي ينهك اللغات الأخرى، ولاسيما غير العريقة التي يندثر العديد منها سنوياً. ولقد وقفت أمم الأرض قاطبة، باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، في المنظمة الدولية (اليونسكو) تدافع عن ضرورة تنوع اللغات والثقافات ليُثري تنوعها الحضارة الإنسانية بما تحمله ثقافتها من خصائص أمم الأرض والشعوب، واتخذت المنظمة قراراتٍ متتالية في اجتماعاتها ومؤتمراتها في السنوات الثلاث السابقة، كان من أهمها قرار إحداث برنامج حفظ الإرث الثقافي، وكان آخرها القرار الحاسم بحماية التنوع الثقافي، الذي اتخذته في مؤتمرها السنوي العام في خريف عام ٢٠٠٥، بإجماعٍ - استثنى منه إسرائيل - ضد تعنت الولايات المتحدة الأمريكية.

والمجامع اللغوية معنية بالدفاع عن اللغة كغيرها من الهيئات حكومية كانت أو غير حكومية، وربما تكون معنية أكثر من غيرها لأنها أنشئت خصيصاً لهذه الغاية. وعليها أن تمتلك كل الوسائل وتستخدم جميع الأساليب التي تحتاج إليها للنجاح في مهمتها. وسنحاول فيما يلي من الصفحات تناول أعمال مجمع دمشق بالدراسة، دراسةً يكون مرجعنا فيها الوسائل والأساليب التي اتبعها لتحقيق أغراضه في إطار القوانين والأنظمة التي رسمت له، والبيئة الاجتماعية التي احتضنته وأحاطت به.

للبحث صلة